تعقيب على نسبة الشيخ أحمد بن عطوة الدرعي إلى الدرعية

اطلعت على البحث القيّم المنشور في مجلة (الدارة)، في العدد الرابع، من السنة السادسة والثلاثين، شوال ١٤٣١هـ، ص١٣١، تحت عنوان: (عالم نجد ومفتي العارض أحمد بن عطوة الدرعي)، للأستاذ راشد بن محمد بن عساكر، الذي نشر فيه (ص١٨٨) صورة لمخطوطة عليها تملك بخط الشيخ ابن عطوة ختم نسبه فيها بالدرعي، وقد بين الأخ راشد أن مولد ابن عطوة في بلدة العيينة، ووفاته في بلدة الجبيلة سنة ٩٤٨هـ، بحسب ما هو مثبت في مصادر ترجمته، التي أجمعت على ذلك، ولم يرد فيها أي خلاف في ذلك.

ولفت انتباهي محاولة الأخ راشد تفسير نسبة الدرعي الواردة في اسم الشيخ ابن عطوة، بأنها نسبة لبلدة الدرعية، دون أن يورد أي دليل على ذلك، مكتفيًا بإيراد نسبة ابن عطوة المتأخرة لآل رحمة من النواصر من تميم.

ومن المفارقات أن نجد في العدد نفسه من المجلة، ص٦٨، تفنيدًا لهذا القول تحت فقرة (هل الشيخ ابن عطوة من آل رحمة؟)، ضمن بحث بعنوان: (منهج الشيخ عثمان بن منصور في تدوين التاريخ والأنساب) وقد أثبت فيه الباحثان د. خالد الوزان، وعبدالله البسيمي، ضعف القول بنسبة ابن عطوة إلى آل رحمة، وأنها مجرد إضافة متأخرة، لا تقوم على دليل، فأحيل القارئ لبحثهما بعدًا عن الإطالة.

وكان الأولى بالأخ راشد أن يبحث بتريث في نسب ابن عطوة، خاصة أنه كتب بحثه المطول والمستفيض عنه، وألا

يتعجل في إيراد تعليلات لا تقوم على دليل عن اسم الدرعي في نسب ابن عطوة.

وأحببت أن أضع هذه النقاط تصحيحًا لما أورده الأخ راشد، وإتمامًا للفائدة:

١- ما احتج به الأخ راشد ضعيف، فلم يورد أي دليل على ما ذهب إليه، من نسبته الدرعي الواردة في اسم الشيخ ابن عطوة لبلدة الدرعية، سوى نقل مبتور، وإشارات موهمة لا تصلح للاحتجاج بها، وهذا بيانها: أورد قول ابن عطوة: (سألت شيخنا عن بطحاء الدرعية، وهي معروفة عندنا). وهذا كلام مبتور، والمسألة بتمامها: (سألت شيخنا عن بطحاء الدرعية، وهي معروفة عندنا، بعد أن عرفته بكيفيتها، هل تصح الصلاة فيها أم لا؟ فأجاب: لا يصلى فيها لأنها ممر. انتهى)(١). فتبين المقصود ببطحاء الدرعية، أنها الطريق المؤدي إليها، فابن عطوة الذي تكرر ذهابه إلى دمشق لطلب العلم، لا يمكن أن يجهل طريق الدرعية القريبة من بلدته العيينة.

واستشهد الأخ راشد بسؤال ابن عطوة لشيخه عن مسجد الحوضية(٢)، وجزم الأخ راشد أن هذا المسجد في بلدة الدرعية، دون أن يورد ما يثبت ذلك، وإذا سلمنا بأنه في الدرعية، فابن عطوة يعد في وقته أكبر عالم في نجد،

---

(١) المنقور، أحمد بن محمد، الفواكه العديدة في المسائل المفيدة، المكتب الإسلامي، دمشق، ط١، ١٣٨٠هـ، ج١، ص٩٢.

(٢) المنقور، الفواكه العديدة، ج١، ص٥٥١.

فلا يستغرب أن توجه إليه الأسئلة من بلدان نجد المختلفة، مع لحِّظِ أن سؤال ابن عطوة أتى بصيغة ضمير الغائب، ولم يأتِ بصيغة ضمير المتكلم، وهذا يوحي أن السؤال رفع إليه من أناس، فالتمس لهم جوابًا من شيخه.

أما طلاب الشيخ ابن عطوة فهم من بلدان نجدية متعددة، لأنه صار مقصدًا لطلاب العلم يأتون إليه من كل مكان، فلا يستغرب أن يتتلمذ عليه علماء من بلدة الدرعية القريبة منه، فقد تتلمذ عليه أربعة علماء من بلدة أشيقر البعيدة عنه. أما ما ذكره الأخ راشد عن أسرة الباهلي الذين في الدرعية، وأن ثلاثة علماء من متقدميهم من تلاميذ ابن عطوة، وأنهم من أهل الدرعية من تلك المدة، فأشير إلى أن الشيخ حمد الجاسر (ت ١٤٢١هـ) رجح أن استيطان أسرة الباهلي كان أولاً في العيينة، ثم استوطنوا الدرعية بعد ذلك، إذ عرف منهم رجال استجابوا للدعوة الإصلاحية(٣). هذه ثلاث نقاط هي كل ما لدى الأخ راشد في نسبته ابن عطوة للدرعية، وهي كما ترى ليس فيها أي دليل أو إشارة تدل على ذلك.

٢- قال الشيخ أحمد بن محمد المنقور (ت ١١٢٥هـ)، في تاريخه في أحداث سنة ١١٠٦هـ: (ومات محمد بن مقرن، شيخ غصيبة)(٤)، على أن المؤرخ ابن بشر وصفه

---

(٣) الجاسر، حمد، باهلة القبيلة المفترى عليها، دار اليمامة، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ، ص٩٠.

(٤) المنقور، أحمد بن محمد، تاريخ الشيخ أحمد بن محمد المنقور، تحقيق د. عبدالعزيز بن عبدالله الخويطر، الأمانة العامة للاحتفال بمرور مائة عام على تأسيس المملكة، ١٤١٩هـ، ص٥٦.

في أحداث السنة المذكورة بصاحب الدرعية(٥)، ووصفه المؤرخ ابن عيسى برئيس بلدة الدرعية(٦)، مع لحِّظِ أن المنقور معاصر للحادثة، وسبق أن أورد اسم الدرعية في أحداث سنة ١٠٩٨هـ، والتي تليها، وهذا يدعو إلى السؤال: ألم يتبلور اسم بلدة الدرعية في تلك المدة وما قبلها بعد؟

٣- الملحوظ أن جميع الكتب التي وضع الأخ راشد مصوراتها، مكتوب عليها من وقت ابن عطوة هذه العبارة: (وقف أحمد بن عطوة النجدي)، والأرجح أن ابن عطوة هو الذي كتب تلك الوقفيات عليها، فهو هنا ينسب نفسه للمنطقة التي استوطنها، لأن منطقة نجد معروفة بلا شك عند أهل الشام، ولنأخذ مثلاً واحدًا فقط، وهو شيخ ابن عطوة؛ الشيخ يوسف بن حسن بن عبدالهادي (ت ٩٠٩هـ)، ذكر في كتابه (الجوهر المنضد)، خمسة علماء من نجد، ختم أسماءهم جميعًا بالنجدي، ولم ينسب أيًّا منهم إلى بلدة، ومنهم تلميذه ابن عطوة(٧).

٤- عندما كتب الشيخ ابن عطوة في آخر اسمه الدرعي، كان في مدينة دمشق بالشام، فالكتاب الذي كتب عليه نسبه

---

(٥) ابن بشر، عثمان بن عبدالله، عنوان المجد في تاريخ نجد؛ تحقيق: عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، دارة الملك عبد العزيز، الرياض، ط٤، ١٤٠٢هـ، ج٢، ص٣٤٦.

(٦) ابن عيسى، إبراهيم بن صالح، تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، دار اليمامة، الرياض، ط١، ١٣٨٦هـ، ص٧٧.

(٧) ابن عبدالهادي، يوسف بن الحسن، الجوهر المنضد في طبقات متأخري أصحاب أحمد، تحقيق: عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان، الرياض، ط١، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م، ص١٥، ٤٠، ١١٢.

(الدرعي)، وقفه على مدرسة أبي عمر في صالحية دمشق، وهو لا يزال هناك، محفوظًا الآن في المكتبة الظاهرية ضمن مكتبة الأسد(٨)، وهو الجزء الثاني من كتاب (الواضح في أصول الفقه)، لأبي الوفاء ابن عقيل، وعلى هذه النسخة تملك شيخه ابن عبدالهادي. وكانت بلدة الدرعية في وقت ابن عطوة قريبة النشأة، ولم تكن لها شهرتها المدوية التي حصلت لها بعد اتفاق الإمامين محمد بن سعود، ومحمد بن عبدالوهاب، رحمهما الله، فهل يعقل أن ينسب ابن عطوة نفسه لبلدة غير معروفة عند أهل الشام، ويترك الانتساب لمنطقة نجد، التي هي مشهورة ومعروفة عند أهل الشام وغيرهم؟!

٥ - لم أجد أحدًا من أهل الدرعية حسب اطلاعي، نسب نفسه للدرعية نسبة للبلدة، قبل القرن الثاني عشر الهجري، مع إمكانية هذا عند تحققه، فهل يعقل بعد ذلك أن يأتي من ليس من أهلها مثل ابن عطوة لينتسب إليها؟!

وأعجب من تناقض الأخ راشد فإنه إذا أراد أن تكون الدرعي نسبًا قبليًا أجاز لنفسه ذلك، مع أنه لم يصلنا ممن نسبه إليها ما يثبت ذلك عنه(٩)، وإذا أرادها أن تكون نسبة لبلدة أجاز لنفسه ذلك أيضًا، دون أي دليل،

---

(٨) محفوظ برقم (٢٨٧٣). ويُلحظ على أغلب قائمة الكتب التي أوقفها ابن عطوة التي أوردها الأخ راشد، أنها موقوفة على مدرسة أبي عمر في دمشق، وحتى الكتب الموجودة في نجد الآن من وقف ابن عطوة جلبت من دمشق، وعلى بعضها نص توقيفه على مدرسة أبي عمر أيضًا.

(٩) انظر كلامه عن عبدالمحسن بن سعيد، في كتابه: الرياض الزاهر في تاريخ آل عساكر، ١٤٢٠هـ، ص١٤.

ولا أرى ما يميز هذه عن تلك، مع أن ابن عطوة أقوى ثبوتًا في النسبة للدرعي، لأنها وصلتنا عنه بخط يده، وهو من كبار العلماء، ولا شك أنه يعرف خطورة النسبة التي فيها شبهة بين نسب أو بلدة، خاصة أن بلدة الدرعية قريبة منه، وتاريخ نشأتها قريب من تاريخ مولد ابن عطوة، فليس بينهما سوى عشر سنوات تقريبًا، بحسب ما رجحه الأخ راشد، فنفي الدرعي في نسب ابن عطوة دون دليل؛ ألا يعد طعنًا في النسب؟ الذي هو من الكبائر التي حذر منها الرسول ﷺ.

٦ - والخلاصة أنه يوجد في بني تميم بطن يعرف باسم الدروع، وأن الشيخ أحمد بن عطوة من بطن الدروع هؤلاء، فقد نسب نفسه بالدرعي، كما نسب نفسه بالتميمي(١٠)، قال الشيخ إبراهيم بن راشد الصقير (ت ١٤٢٧هـ): "الدروع وهم بطن من تميم"(١١)، ولعل آل عطوة من العطيان أهل ملهم، جمع على غير قياس، والعطيان (آل عطا) أمراء ملهم من بني تميم، قال الشيخ محمد بن مانع (ت ١٢٩١هـ): "العطيان أهل ملهم من تميم"(١٢).

هذا والله أعلم وهو من وراء القصد.

فهد بن علي بن جاسم آل ثاني

---

(١٠) كما نقله من خطه المنقور، في الفواكه العديدة، ج٢، ص١٩٤، ٢٢٧.

(١١) الضويان، إبراهيم بن محمد، تاريخ ابن ضويان، تحقيق إبراهيم بن راشد الصقير، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ، هامش ص٢٢.

(١٢) مجموع ابن عيسى، ق٨. وقال المؤرخ الشيخ إبراهيم بن عيسى في مجموعه أيضًا، ق١٧: "قال بعضهم هذه صورته في الأنساب... والعطيان والرجبان أهل حوطة بني تميم قبل آل حماد من بني حنظلة من تميم".